المماثلة الصوتية في تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ)

Phonetic Similarity in the Language Refinement of Abu Mansour Al-Azhari (370 A.H.)

د. بشير محمود فتاح
مدرس
المديرية العامة لتربية نينوى

Dr. Basheer Mahmoud Fattah
Lecture
Directorate General of Education Nineveh

Bashir1971@gmail.com

٠٧٧٠٤١٠١٣١٩

تاريخ الاستلام ٢٠١٩/٩/٢ **تاريخ القبول** ٢٠١٩/١٠/٩

الكلمات المفتاحية: المماثلة، الصوتية، تهذيب ، اللغة ، الأزهري

Keywords: Similarity- Phonetic- Refinement- Language-Al-Azhari

الملخّص

تُعدّ المماثلة الصوتية أحد القوانين الصوتية الهامة التي تحكم علاقة الأصوات بعضها ببعض في التركيب الواحد، ومن ثمَّ تسعى هذه الدراسة من خلال معالجتها المماثلة الصوتية في معجم تهذيب اللغة إلى الكشف عن موقع تلك الظاهرة من التفكير اللغوي عند الأزهري في معجمه تهذيب اللغة، وقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي بعد رصد نماذج الأزهري وصوره وإشاراته للمماثلة الصوتية في تهذيب اللغة ؛ إذ قامت الدراسة بتصنيف تلك الإشارات إلى مماثلة في الصوامت ومماثلة في الصوائت، وتحليل نماذج من كل نوع منها في ضوء معطيات علم الأصوات المعاصر.

وقد غطّت الدراسة هذه نماذج المماثلة الصوتية المتنوعة التي احتواها تهذيب اللغة ، فظهرت نماذج للمماثلة الكلية المقبلة المتصلة، ونماذج للمماثلة الكلية المقبلة المنفصلة، ونماذج للمماثلة الكلية المدبرة المتصلة والمماثلة الكلية المدبرة المنفصلة أيضا، وكانت هناك نماذج أخرى ذكرها الأزهري للمماثلة الصوتية الجزئية بأنواعها المختلفة .

وبنينا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين ، وقد عرضنا في المقدمة لأهمية الموضوع وإشكاليته وأسباب اختياره وأسئلته وخطته، ثم في التمهيد: عرفت الدراسة بالمماثلة الصوتية وآراء العلماء قديما وحديثا فيها وأنواعها، ثم أعقب ذلك مبحثان ، تحدثت الدراسة في المبحث الأول عن المماثلة الصوتية الكلية، وفي الثاني عن المماثلة الصوتية الجزئية، ويندرج تحتها كل منهما أنواع المماثلة المقبلة والمدبرة، والمنفصلة والمتصلة.

Abstract

The sound analogy is one of the important sound laws that govern the relationship of sounds to one another in a single structure. This explains many of the vocal changes that the voices have in the case of overlapping them together. Hence, this study concerns with following up the law of the sound analogy as a sound law on the one hand and as a sound phenomenon on the other hand by one of the most prominent Arab linguists, Abu Mansur Al-Azhari, through his dictionary (the language refinement).

The researcher depended in his study on the analytical descriptive method after monitoring the models, images and signals of Al-Azhari for the sound analogy in the refinement. The study classified these references to the analogy in silents, sounds and semi - silos, and analyzed the models of each type in light of the data of modern phonology, as well as reading the views of Azhari In light of the views of other ancient and modern linguists.

The models of the sound analogy that are included by the language refinement have covered different types of the analogy. So, Models of the corresponding future macro-relativistic models and similar totals of the next discrete analogy, as well as models of the related macro-structure and the corresponding discrete macro-order were appeared. There were other examples mentioned by Al-Azhari for the partial analogy of the different types, Related and separate ones.

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فتعد المماثلة الصوتية أحد القوانين الصوتية الهامة التي تحكم علاقة الأصوات بعضها ببعض في التركيب الواحد، ومن ثم يفسّر على ضوئها كثير من التغيرات الصوتية التي تعتري الأصوات في حال تراكبها معا، وتعنى هذه الدراسة بتتبع المماثلة الصوتية بوصفها قانونا صوتيا من جهة وظاهرة صوتية من جهة أخرى عند واحد من أكابر اللغويين العرب، وهو أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ)، وذلك في واحد من أكبر منجزات المعجمية العربية وأهمها وهو معجمه (تهذيب اللغة).

إشكالية الدراسة:

وتسعى الدراسة من خلال معالجتها المماثلة الصوتية – قانونا وظاهرة صوتية– في معجم تهذيب اللغة إلى الكشف عن موقع تلك الظاهرة من التفكير اللغوي عند الأزهري، وبيان أهميتها في الصناعة المعجمية العربية القديمة، وإلى أي حد كانت حاضرة عند التأليف اللغوي بعامة والمعجمي بخاصة ، وكيف أفاد الأزهري – بوصفه أنموذجاً للغويين العرب القدماء– من وعيه بهذه الظاهرة على المستويين النظري والتطبيقي في توجيه كثير من المظاهر الصوتية في المفردة العربية.

أسباب اختيار الموضوع:

أما عن أسباب اختيار الموضوع بصفة عامة، وأسباب اختيار مادته العلمية بصفة خاصة فتتمثل فيما يأتي:

١– أهمية المماثلة الصوتية في تفسير كثير من التغييرات الصوتية، وردّ كثير من الأصواتيين المعاصرين كثيرا من مسائل التطور الصوتي إليها، مما يستدعي الوقوف عند اللغويين القدماء للبحث في موقفهم من تلك الظاهرة، وإلى أي مدى كان وعيهم بها.

٢– منزلة أبي منصور الأزهري اللغوية ومكانته بين علماء اللغة القدماء أوجبت أن يخصّ بالبحث في مسألة المماثلة الصوتية عنده.

٣– مكانة معجم تهذيب اللغة بين المؤلفات اللغوية التراثية بصفة عامة، والمعجمات العربية بصفة خاصة، مما يؤهله لأن يكون ميدانا هاما للدراسات اللغوية بكافة تنوعاتها وانتماءاتها.

٤– غزارة المادة الصوتية التي حفل بها التهذيب وعلو قيمة ملاحظات الأزهري الصوتية فيها؛ بما اقتضى البحث في تلك المادة وتلك الملاحظات عمّا يخص موضوع المماثلة الصوتية".

أسئلة الدراسة:

أما عن الأسئلة التي طرحتها الدراسة لنفسها لتحاول الإجابة عليها حتى يستوي ذلك البحث على سوقه، فكانت على النحو الآتي :

١- هل كان اهتمام أبي منصور الأزهري بظاهرة المماثلة الصوتية ووعيه بها وبحضورها في كثير مما اعترى الألفاظ العربية من تغيرات صوتية على الخط التاريخي؛ أقول هل كان ذلك الاهتمام وذلك الوعي بالقدر الكافي كفاء يتناسب مع شخصية الرجل اللغوية؟.

٢- كيف كان حجم المادة الصوتية الخاصة بظاهرة المماثلة الصوتية في (تهذيب اللغة)؟

٣- كيف استفاد أبو منصور الأزهري في تهذيبه من المماثلة الصوتية في توجيه المسائل الصوتية المختلفة في الألفاظ العربية على المستويين التنظيري والتطبيقي؟.

٤- إلى أي مدى كان اتساع مفهوم المماثلة الصوتية عند أبي منصور الأزهري في تهذيبه؟ أفكان واقفا عند حدود الصوامت فقط، أم تخطى تلك الحدود ليشمل الصوائت بنوعيها القصيرة والطويلة؟

٥- إلى أي مدى كان إسهام الوعي بالظاهرة عند أبي منصور الأزهريّ لتوظيفها في خدمة مستويات الدرس اللغوي الأخرى في العربية غير المستوى الصوتي ،كالمستوى الصرفي فيما يخصّ تردد الفعل الواحد بين بابين صرفيين أو أكثر ،وكالمستوى اللهجي فيما يخصّ وجود أكثر من صورة نطقية للفظة الواحدة، وكالمستوى الدلالي فيما يخص العلاقات الدلالية بين الألفاظ؟.

منهج الدراسة:

أما عن المنهج الذي اتبعته الدراسة فكان المنهج الوصفي التحليلي بعد رصد نماذج الأزهريّ وصوره وإشاراته للمماثلة الصوتية في التهذيب؛ إذ قامت الدراسة بتصنيف تلك الإشارات إلى مماثلة في الصوامت ومماثلة في الصوائت، وتحليل نماذج كل نوع منها في ضوء معطيات علم الأصوات المعاصر، وقراءة آراء الأزهري في ضوء آراء غيره من اللغويين القدماء والمعاصرين أيضا.

خطة البحث:

وفقا لما سبق فقد كانت خطة البحث على النحو الآتي :

المقدمة: وعرضت لأهمية الموضوع وإشكاليته وأسباب اختياره وأسئلته وخطته.

ثم التمهيد: عرفت الدراسة فيه بالمماثلة الصوتية وآراء العلماء قديما وحديثا فيها وأنواعها، ثم أعقب ذلك مبحثان :

المبحث الأول: تحدث عن المماثلة الصوتية الكلية، وفي هذا المبحث عالجنا نماذج المماثلة التي ذكرها الأزهري بين الصوامت .

ثم **المبحث الثاني:** تناول المماثلة الصوتية الجزئية، ويندرج تحت كل منهما أنواع المماثلة المقبلة والمدبرة، والمنفصلة والمتصلة.

ثم ختمت الدراسة **بخاتمة** بيّنا فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم ثبت المصادر والمراجع التي أفادت منها الدراسة.

التمهيد

"تدرج المماثلة الصوتية عند الدراسة اللغوية التاريخية للغة ضمن التغيرات التركيبية ويقصد بها: عند المحدثين من علماء العربية ما يطلق عليه عند الغربيين (Assimilation) ، والمماثلة تحدث نتيجة تأثر الأصوات اللغوية المتجاورة بعضها ببعض عندما تتركب الأصوات في كلمات وجمل"(١) ، ونسعى في هذا التمهيد إلى تعريف المماثلة لغة واصطلاحاً، وبيان موقف علماء اللغة من المماثلة وكيف عبروا عنها في مؤلفاتهم المختلفة، وبيان أنواعها.

المماثلة لغة:

(مثل) "الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مِثْل هذا، أي نظيره، والمِثْل والمِثال في معنىً واحد"(٢) **،ومثل:** "كلمة تَسوية، يقال: هذا مِثله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهه بمعنى؛ قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين فيه؛ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين"(٣) ، وقال الفيروزآبادي:"والمَثْلُ، محركة: الحجة والحديث، وقد مَثَّل به تمثيلًا وامتَثَّله وتَمَثَّله"(٤).

المماثلة اصطلاحاً:

تعرف المماثلة بأنها :"تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض، عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها؛ لكي تتفق في المخرج أو في الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق

---

(١) معاني القرآن في التراث العربي الدراسة الصوتية: منير جمعة أحمد، ط١ ، دار بلنسية للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٨م : ١١٧.

(٢) مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م :٥ /٢٩٦.

(٣) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت ، (د.ت): ٦١٠/١١.

(٤) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨ مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م : ١٠٥٦.

والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات"[١]، وإنّ "ذلك التقارب يعد تسهيلاً لعملية النطق واقتصاداً للجهد العضلي لتحقيق الانسجام الصوتي"[٢].

ويعرفها د.أحمد مختار عمر بأنها :"التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته –ولا نقول ملاصقته– لأصوات أخرى،وهي كما عرفها بعض آخر تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئياً أو كليا"[٣] ، ويقول عصام نور الدين إنّ :"المماثلة تكون بتقارب أو بتجانس أو بتماثل يحدث بين صوتين متماسين،مما يؤدي إلى تقارب في مخرجي الصوتين وصفاتهما، أو إلى تماثل تام يتجلى في الإدغام"[٤].

ويعرفها دانيال جونز بأنها :"عملية استبدال صوت بصوت آخر، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه، في الكلمة أو في الجملة"[٥].

ويعزو د.إبراهيم أنيس تأثر الأصوات وتقاربها إلى:"نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج،ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة"[٦].

وقد استعمل العلماء القدامى مصطلحات عدة للتعبير عن مصطلح المماثلة الصوتية، فقد أشار إليه سيبويه في معرض الحديث عن :(الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه) ، إذ قال:"فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الذال، وذلك نحو: مَصْدَر، وأَصْدَرَ، والتصْدير؛ لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة، كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في افْتَعَلَ فلم تدغم الصاد في التاء لحالها التي ذكرت لك، ولم تدغم الذال فيها ولم تُبدل؛لأنها ليست بمنزلة اصطبر وهي من نفس الحرف، فلما كانتا من نفس الحرف أُجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مَدَدتُ فجعلوا الأول تابعاً للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه، وهي الزاي، لأنها مجهورة

---

(١) التطور اللغوي "مظاهره وعلله وقوانينه": د.رمضان عبد التواب، ط٢ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م : ٣٠.

(٢) أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: كريم زكي حسام الدين، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م: ١٧٢.

(٣) دراسة الصوت اللغوي: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م : ٣٧٨.

(٤) علم الأصوات اللغوية "الفونيتيكا":عصام نور الدين، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ، ١٩٩٢م : ٢٤٠.

(٥) التطور اللغوي: ٣٠.

(٦) الأصوات اللغوية:د.إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، ١٩٧٥م: ١٧٨.

غير مطبقة، ولم يبدلوها زاياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق"[١]، وعليه فإن:(المماثلة عند سيبويه تتمثل في عملية التقريب والإبدال فضلاً عن أنها مرادفة للإدغام)، وقد يفهم من كلامه أيضاً أن المماثلة شيء يسبق الإدغام ، وهذا هو المنطق الصوتيّ .

ونجد "ابن جني" يتحدث عن المماثلة والإدغام أيضاً، إذ قال:" الإدغام هو تقريب الصوت من صوت آخر، وهو في الكلام على ضربينِ أحدهما أن يلتقي المثلانِ على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في الآخر...، والآخر أن يلتقي المتقاربانِ على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت"[٢].

وجاء مصطلح المماثلة عند الاستراباذي مرادفاً للإمالة والإدغام، ففي تعريفه للإمالة عزا سببها إلى "قصد المناسبة لكسرة أو ياء"[٣]، كما أنه في تعريفه للإدغام قال:"لا بد وأن يكون في المثلينِ والمتقاربينِ"[٤].

وعليه فإن مصطلح المماثلة في الغالب يشير إلى عدة مصطلحات منها الإدغام والذي عدّه د.إبراهيم أنيس :(المصطلح الحديث له، وقد أشار إليه في باب الإدغام) بقوله: "تؤثر هنا استعمال هذا الاصطلاح القديم ونعني به ما يشير إليه المحدثون من تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور...، ولقد أطلقت عليها في كتاب الأصوات اللغوية كلمة (المماثلة)"[٥].

وهو بذلك يوافق ما ورد عند سيبويه وابن جني، والاستراباذي، إلا إن "برجشتراسر" قد أكد على وجود فرق معنوي بين المماثلة والإدغام، فنجده يقول: "وهذا التشابه نظير لما سمّاه

---

(١) الكتاب:أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) ، تحقيق وشرح:عبد السلام محمّد هارون، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م :٤/ ٤٧٧- ٤٧٨.

(٢) الخصائص:أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط١ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٥٦م: ٢ / ١٣٩- ١٤٠.

(٣) ينظر:شرح شافية ابن الحاجب:رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ، تحقيق: نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م :٣/٤.

(٤) المصدر السابق:٣/ ٢٣٤.

(٥) في اللهجات العربية:د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠١٠م : ٧٠.

العرب إدغاماً، غير أن التشابه والإدغام وإن اشتركا في بعض المعاني، اختلفا في بعضها؛ وذلك أن معنى الإدغام: اتحاد الحرفين في حرف واحد مشدد، تماثلاً أو اختلافا"(١).

أنواع المماثلة

"هناك عدة مصطلحات لعلماء الأصوات في أنواع التأثير الناتجة عن قانون المماثلة، فإن أثر الصوت الأول في الثاني فالتأثير (مُقبل)،وإن حدث العكس فالتأثير (مدبر)،وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثير (كلي)، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت، فالتأثير (جزئي)"(٢).

ونورد هنا أمثلة لكل نوع من أنواع التأثير(٣):

١- **التأثير المقبل الكلي في حالة الاتصال** :نحو تأثر تاء الافتعال دائمًا بالدال أو بالطاء قبلها، فتقلب دالاً أو طاء مثل: ادْتَرَكَ، ادَّرَكَ، وادتَهن، ادّهن، اطتلع، اطّلع، اطترد، اطّرد.

٢- **التأثير المقبل الكلي في حالة الانفصال** :ومن أمثلته: تأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (هُ) والجمع المذكر (هُم) الجمع المؤنث (هُنَّ)، والمثنى (هُما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء؛ فتقلب الضمة كسرة.

٣- **التأثير المقبل الجزئي في حالة الاتصال**:من أمثلته: تأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالزاي قبلها فتقلب طاء في الحالتين الأوليين، ودالاً في الحالة الثانية، مثل اصتبغ، اصطبغ، اضتجع، اضطجع، ازتجر، ازدجر.

٤- **التأثير المقبل الجزئي في حالة الانفصال** :من أمثلته: تأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها، فتقلب إلى نظيرها المجهور ،وهو الزاي في كلمة مهراس،التي صارت مهراز في لهجة الأندلس العربية.

٥- **التأثير المدبر الكلي في حالة الاتصال** :من أمثلته : في مضارع صيغتي تفعَّل وتفاعل، تتأثر بعد تسكينها للتخفيف، بفاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي.

---

(١) التطور النحوي للغة العربية ":محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ المستشرق الألماني برجشتراسر: د.رمضان عبد التواب، ط٢ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ،١٤١٤هـ- ١٩٩٤م: ٢٩.

(٢) التطور اللغوي: ٣١.

(٣) ينظر:التطور اللغوي :٣٣ – ٤٨، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة:فوزي الشايب، ط١،عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م: ١٩١ –٢٣٤.

٦- **التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال:** من أمثلته : تطور كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة: مِفْعَل ومِفْعَلة، وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري، إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين.

٧- **التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال** :من أمثلته : في اللهجات العربية القديمة، تتحول الصاد قبل الدال إلى زاي، مثل: (يَزْدُق) في (يصْدُق) ، واتصال الصاد بالدال هنا شرط لتحقق التأثر السابق.

٨- **التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال** :من أمثلته : **الصاد** قبل الراء تقلب زاياً في قسم من قراءات القرآن الكريم، مثل: "(زراط) في (صراط).

سبق أن ذكرنا أن المماثلة تُقسم أنواعاً باعتبارات متعددة، ومن تلك الاعتبارات نوع التغير الحاصل نتيجة ذلك القانون الصوتي،(فإذا كان تغيراً يؤدي إلى أن يتغير الصوت المتأثر ليصبح عين الصوت المؤثر عرفت بالمماثلة الكلية،وإذا كان التغير تغيرا في بعض الصفات فحسب دون أن يصبح عينه كانت المماثلة جزئية)، وعلى هذا الاعتبار كان تقسيم المبحثين إلى مبحثين، أحدهما المماثلة الكلية، والآخر المماثلة الجزئية، وتحت كل منهما نعرض لأنواع المماثلة بالاعتبارات الأخرى كاعتبار الاتجاه بحيث تكون المماثلة مقبلة أو مدبرة، أو اعتبار الاتصال والانفصال بين الصوتين المؤثر والمتأثر فتكون مماثلة متصلة أو منفصلة.

المبحث الأول

المماثلة الكلية

أ- مماثلة كلية مقبلة متصلة

وهذا النوع من المماثلة :هو ما يكون تأثر الصوت المتأثر بالصوت المؤثر تأثراً كلياً بحيث يصبح عينه تماما، ومقبلا أي إن اتجاه التأثير يكون من الأمام للخلف، بحيث يكون الصوت المؤثر سابقا في ترتيب وقوعه في الكلام على الصوت المتأثر، وأما متصلة فتعني أنه لا يوجد فاصل صوتي بين الصوتين المؤثر والمتأثر ، وكان من نماذج ذلك النوع من المماثلة التي ذكرها الأزهري في (تهذيب اللغة) ما يأتي:

- **إبدال (التاء) (ظاء) في (اظَّلم):**

يقول الأزهري في مادة (ظلم):"ظُلِمَ فلَان فاظَّلَمَ، مَعْنَاهُ أَنه احْتمل الظُّلْمَ بِطيبِ نَفْسٍ، وَهُوَ قَادر على الِامْتِنَاع مِنْهُ، وَهُوَ افتعال، وَأَصله اظْتَلَمَ فَقُلِبَتِ التَّاء ظاء ثمَّ أُدغِمَتْ الظَّاء فِيهَا"(١).

وهذا الإبدال الذي ذكره الأزهري هنا هو أثر لقانون المماثلة الصوتية، ومن ثَمَّ يعدّ قول الأزهري (وَأَصله اظْتَلَمَ فَقُلِبَتِ التَّاء ظاء ثمَّ أُدغِمَتْ الظَّاء فِيهَا) هو إشارة إلى ذلك القانون.

والذي حدث هنا بفعل ذلك القانون أن الظاء أثرت في التاء فحوّلتها إلى ظاء مماثلة لها، ومن ثَمّ كان التأثير كليا، ولمّا كان اتجاه التأثير من الأمام للخلف عُدّ تأثيرا مقبلاً، ولمّا كانت الظاء ساكنة ولا فاصل صوتي بينها وبين التاء عُدّ ذلك من المماثلة المتصلة، وعليه فإن المماثلة الواقعة هنا هي مماثلة كلية مقبلة متصلة.

ولم يكن الأزهريّ أول من أشار إلى تلك المماثلة في ذلك اللفظ وأصواته، وإنما سبقه إلى ذلك صاحب العين إذ جاء فيه أيضا ما نصّه:"وظُلِمَ فلانٌ فاظَّلَمَ، أي احتَمَلَ الظُّلْم بطِيب نفسه، افتَعَلَ وقياسه اظتَلَم فشُدِّدَ وقُلِبَتْ التاءُ ظاءً فأُدغِمَت الظاء في الظاء، وإن شِئْتَ غلَّبْتَ الظاء كما غَلَّبْتَ الطاء"(٢).

والذي نراه أن عبارة صاحب العين أوضح من عبارة الأزهري في تفسير ما حدث من تقنيات المماثلة، فذكر صاحب العين أن التاء تحولت إلى طاء أولا، ثم بعد ذلك تحولت الطاء إلى الظاء وأدغمت فيها، فكان في ذلك أوضح وأقرب لحقيقة ما حدث من مراحل المماثلة منها عند الأزهري.

---

(١) تهذيب اللغة:أبو منصور الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة،١٩٦٤م ، مادة (ظ ل م): ٢٧٧/١٤.

(٢) العين :الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.إبراهيم السامرائي ، و د. مهدي المخزومي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، (د.ت) ، مادة (ظ ل م): ١٦٣/٨.

- **إبدال (الياء) (حاء) في لفظة (الضِّحْي)**

يقول الأزهري في مادة (ض ح ي):"الضِّحّ نقيض الظلّ، وَهُوَ نُور الشَّمْس الَّذِي فِي السَّمَاء على وَجه الأَرْض، وَالشَّمْس هُوَ النُور الَّذِي فِي السَّمَاء يطلع ويغْرب، وَأما ضوؤه على الأَرْض فضِحّ قَالَ وَأَصله الضِحْيُ فاستثقلوا الْيَاء مَعَ سُكُون الْحَاء فثقّلوها، قَالُوا: ضحّ، وَمثله: العَبْد القِنّ وَأَصله قِنْي من القِنية"(١) ،وبمثل هذا الذي ذكره الأزهري قال صاحب الغريبين فجاء فيه:"وأصل الضحّ ضحْيٌ بالياء"(٢) ، وذكره أيضا صاحب اللسان عن الأزهري، فقالَ: "وأصله الضِحْيُ فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها، وقالوا الضح"(٣)، ومثله في التاج ففيه نقلا عن الأزهري أيضا: "أَصله الضِّحْيُ"(٤).

ففي عبارة الأزهري نجد مماثلة صوتية وقعت في اللفظة، وكان اتجاه تلك المماثلة من الأمام؛ إذ كان الصوت المؤثر هو (الحاء) والصوت المتأثر هو الياء، فكان اتجاه التأثير للتماثل من الأمام للخلف، ولم يكن هناك فاصل صوتي بين الصوتين ولذا فهي من نوع المماثلة المتصلة.

- **إبدال (الحاء) (راء) في لفظة (الحِرّ):**

ومن نماذج المماثلة الصوتية الكلية المقبلة أيضا ما جاء عند الأزهري في لفظة (الحرّ) التي ذكر أن الراء الثانية فيها أصلها حاء، ولكنها قلبت راء؛لاستثقال العرب(حاء متطرفة) قبلها حرف ساكن،فيقول:" الحِر فِي الأَصْل حِرْح، وَجمعه أحراح، وَقد حَرَحْتُ الْمَرْأَة إِذا أَصبْتَ ذَلِك الْمَكَان مِنْهَا، قَالَ: وَرجل حَرِح: يحبّ الأحراح، قَالَ: واستثقلت الْعَرَب حاء قبلهَا حرف سَاكن فحذفوها وشدّدوا الرَّاء"(٥) ،وقد أشار صاحب العين من قبل الأزهري إلى أن أصل تلك الراء حاء، وذلك في قوله: "الحِر: يجمع على الأحراح"(٦) ، وجاء ما ذكره الأزهري في اللسان أيضا، ففيه: "الحر حر المرأة، مشدد الراء كأن الأصل حرح، فثقلت الحاء الأخيرة مع سكون الراء، فثقلوا الراء وحذفوا الحاء، والدليل على ذلك جمعهم الحر أحراحا؛ وقد حرح الرجل

---

(١) تهذيب اللغة (ض ح ي): ٢٥٧/٣.

(٢) الغريبين في القرآن والحديث: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١ ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية،١٩٩٩م : ١١١٧/٤.

(٣) لسان العرب (ض ح ح): ٥٢٤/٢.

(٤) تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، سلسلة التراث العربي ،وزارة الإعلام بالكويت،٢٠٠١ م، (ض ح ح): ٥٦٥/٦.

(٥) تهذيب اللغة (ح ر ح): ٢٧٨/٣.

(٦) العين (ح ر ر) : ٢٨٦/٣.

ويقال:حرحت المرأة إذا أصبت حرها، وهي محروحة، واستثقلت العرب حاء قبلها حرف ساكن، فحذفوها وشددوا الراء"[١] .

وهذا الذي ذكره الأزهري ونقله عنه اللسان، وذكره من قبلهما صاحب العين، يعني أن مماثلة صوتية حدثت في اللفظة، إذ أبدلت الحاء المتطرفة فيها إلى راء مماثلة بذلك الراء الموجودة في الكلمة، وبسبب هذا التماثل حدث الإدغام الذي أدى إلى تشديد الراء، واتجاه هذه المماثلة يكون أماميا ؛ولذا فهي مماثلة مقبلة، وكان التماثل كليا، فهي كلية، وليس بين الراء والحاء المبدلة فاصل ومن ثم فهي متصلة، ومن ثم يكون ما حدث في للفظة من مماثلة هو مماثلة كلية مقبلة متصلة.

- **إبدال الواو ياء في لفظة (ريحان):**

ومما فسّره الأزهري بالمماثلة الصوتية المقبلة الكلية لفظة (ريحان) إذ ذكر أن"أصلها واو بعد الياء ، فكانت في الأصل (ريوحان)، ثم حدث أن انقلبت الواو ياء بسبب الياء التي قبلها، ثم أدغمت فيها فصارت (ريّحان)، ثم خفف التشديد بسبب الألف والنون في آخرها"، فيقول في ذلك: "وَأجْمع النحويّون أَن ريحَان فِي اللُّغَة من ذَوَات الْوَاو، والْأَصْل رَيْوَحَان فقلبت الواوُ يَاء وأدغمتْ فِيهَا الياءُ الأولى فَصَارَت الرّيّحان، ثمَّ خفّفت، كَمَا قَالُوا مَيّت ومَيْت، وَلَا يجوز فِي ريحَان التشديدُ إِلَّا على بُعد؛ لأنّه قد زيد فِيهِ أَلِف وَنون، فَخُفف بِحَذْف الْيَاء وأُلْزِم التخفيفَ"[٢].

وذكر ابن سيده ما ذكره الأزهري لكن بعبارة أوضح في الدلالة على أن ما حدث في اللفظة هو مماثلة، فيقول: "أصل كل ذَلِك – أي ريحان – رَيْوِحان، قلبت الْوَاو يَاء لمجاورتها الْيَاء، ثمَّ أدغمت ثمَّ خففت على حد ميت وَلم يسْتَعْمل مشددا لمَكَان الزِّيَادَة، كَأَن الزِّيَادَة عوض من التَّشْدِيد"[٣].

ففي عبارة ابن سيده (قلبت الواو ياء لمجاورتها الياء) ما يفيد بأن ما حدث هو من قبيل المماثلة الصوتية، حيث تأثرت الواو بمجاورتها الياء فانقلبت إلى ياء مماثلة لها، وهذه الإفادة هي عينها ما يفهم من كلام الأزهري غير أنّ ابن سيده كان أوضح في القول بها.

ونستنتج هنا أنّ لفظة ريحان – وإن كانت لا تنطق بالتشديد– الذي هو نتاج المماثلة التي حدثت بين الواو والياء، فإن هذا التخفيف الذي يلغي التشديد لا يمنع أن تكون المماثلة

---

(١) لسان العرب (ح ر ر): ٤٣٢/٢.

(٢) تهذيب اللغة (ر و ح): ١٤٣/٥ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة:علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م ، (روح): ٥٠٩/٣ .

قد حدثت بالفعل، وأنها موجودة بين أصوات اللفظة حقيقة غير أنها لا تظهر بسبب بناء الكلمة وزيادة الألف والنون فيها.

وعلى كلام كل من الأزهري وابن سيده يكون ما حدث في اللفظة من مماثلة هو مماثلة مقبلة حيث إن الصوت المؤثر هو الياء وهي قبل الواو التي تأثرت بها، وهي مماثلة كلية أيضاً حيث إن (الواو) انقلبت إلى (ياء) وهي الصوت المؤثر، ولما لم يكن بين الصوتين المؤثر (الياء) والمتأثر (الواو) فاصل صوتي؛ كانت المماثلة مماثلة متصلة، ومن ثم فإن ما حصل بين أصوات اللفظة هو مماثلة مقبلة كلية متصلة.

- **إبدال الياء واوا في لفظة (حُوق)**

ويمكن أن نعدّ من المماثلة الكلية المقبلة المتصلة ما ذكره الأزهريّ من إبدال الياء اللينة في لفظة (حُيْق)، حركة طويلة تأثرا بالضمة (الحركة القصيرة) التي قبلها.

وإنما عددنا ذلك من المماثلة الكلية؛ لأنه لا اختلاف بين الصوتين المؤثر (الضمة القصيرة) والصوت الجديد الناتج عن التأثير (الضمة الطويلة) إلا في المقدار الزمني لنطق كل منهما، فأحد الصوتين يستغرق زمنا أطول قليلاً من زمن النطق بالصوت الآخر، أما في الصفات فهما نفس الصوت لا اختلاف بينهما في أية صفة، وهو ما يفرض عدّهما صوتاً واحدا.

ويقول الأزهري في وقوع تلك المماثلة وتأثر الياء بالضمة قبلها في لفظة (حوق):"وجَائِز أَن يكون الحُوقُ فُعْلاً من حاق يَحِيق كأَنَّه كَانَ فِي الأَصْل حُيْقاً فقلبت الْيَاء واواً؛ لانضمام مَا قبلهَا"[(١)] ، وما ذكره الأزهري نقله عنه صاحب اللسان بنصّه في مادة (ح و ق)[(٢)]، وعبارة الأزهري واضحة في أن ما حدث هو مماثلة صوتية؛ بسبب تأثر صوت الياء بالضمة قبله، وذلك واضح جلي من عبارته:"فقلبت الْيَاء واواً لانضمام مَا قبلهَا"،وهي عبارة واضحة في النصّ على أن المماثلة هنا قبلية أيضاً، وبالنظر إلى الصوتين لا نجد فاصلا صوتيا بينهما ؛ومن ثمَّ فهي متصلة، وعليه يكون ما حدث في اللفظة على تفسير الأزهري لها هو مماثلة كلية قبلية متصلة.

- **إبدال (الياء) واوا في لفظة (الضُّوقى):**

ومثل ما سبق أيضاً ما ذكره الأزهريّ في لفظة (الضوقى)،إذ ذكر أن أصلها هو (الضُيقى)، لكنّ إبدالاً للياء فيها صيّرها واواً بفعل قانون المماثلة الصوتية، فيقول في ذلك:"الضُّوقى فُعْلَى من الضِّيق، وَهِي فِي الأَصْل الضُّيقَى، فقُلبت الْيَاء واواً؛ من أجل

(١) تهذيب اللغة (ح و ق): ٨٢/٥.

(٢) ينظر:لسان العرب (ح و ق): ٧٢/١٠.

الضمّة"[١]، وهذا الذي وردَ عند الأزهري مفصّلاً من ذكر المماثلة في اللفظة بقوله :(فقلبت الياء واوا من أجل الضمة) ألمح إليه من قبلُ الفارابي في (ديوان الأدب)، إذ اكتفى بالإشارة إلى أنّ "الضوقى لغة في الضيقى"[٢]، دون أن يذكر تفسيراً صوتياً لذلك.

أما بعد الأزهري فقد ذهب الجوهري إلى مثل ما ذهب إليه الأزهري، فقال عن اللفظة نفسها: "الضوقى والضيقى: تأنيث الأضيق،صارت الياء واوا ؛لسكونها وضمة ما قبلها."[٣]، والجوهري في ذلك موافق لما ذهب إليه الأزهري ، حيث إنّ في اللفظة مماثلة صوتية، وأما عن اتجاه تلك المماثلة، فهي مماثلة مقبلة؛ لأن التأثير كان من الصائت السابق على صوت الياء، وأما عن طبيعتها فهي مماثلة كلية، إذ قلبت الياء إلى صائت (الواو) المساوي للضمّة إلا في المدى الزمني للنطق، وأما عما بين الصوتين المؤثر والمتأثر فهو خلوهما من أي فاصل بينهما، ومن ثَمَّ فالمماثلة الحادثة في ذلك: هي مماثلة كلية مقبلة متصلة.

- **إبدال (الواو) (ياء) في لفظة (هِيت)**

وعلى عكس الأنموذج السابق يجيء هذا الأنموذج ، إذ إن (الواو) هذه المرة هي التي تغيرت إلى ياء، وذلك بسبب وجود الكسرة (حركة قصيرة) قبلها، فأثرت فيها بما جعلها تتبدل إلى الياء (الحركة الطويلة)، وذلك في لفظة (هيت)، وفي ذلك يقول الأزهري: "سُمّيَت هِيتُ هِيتَ؛ لأنّها فِي هِوّة من الأَرْض، انقلَبَتْ الْوَاو يَاء؛ لانكسار مَا قبلهَا"[٤] ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك من العلماء من أشار إلى المماثلة في أصوات لفظة (هيت)، فهذا أبو بكر الأنباري نجده يقول: "سميت: هيت؛ لأنها في هِوَّة من الأرض، والأصل فيها: هِوْت، على مثال: فِعْل، فصارت الواو ياءً؛ لانكسار ما قبلها"[٥] ، ونقلها ابن منظور أيضاً في لسانه عن عدد من اللغويين فقال: "قال أبو علي: ياء هيت، التي هي أرض، واو... ابن الأعرابي: هيت أي هوة من الأرض، قال: ويقال لها الهوتة؛ وقال بعض الناس: سميت هيت؛ لأنها في هِوّة

---

(١) تهذيب اللغة (ض و ق): ١٧٤/٩.

(٢) ديوان الأدب:أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٣م: ٣٧٩/٣.

(٣) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) :إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ، (ض و ق): ١٥١١/٤.

(٤) تهذيب اللغة (هـ و ت): ٢٠٩/٦.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ ، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، ط٢ دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م : ١٠٨/٢.

من الأرض، انقلبت الواو إلى الياء، لكسرة الهاء"[١] ، فعبارة (انقلَبَتْ الْوَاو يَاء لانكسار مَا قبلهَا) في كلام الأزهري وغيره من علماء اللغة هي العبارة الدالة على أن مماثلة صوتية حدثت بين هذين الصوتين، وحدد الأزهري ذلك النوع من المماثلة بأنها قبلية وذلك بقوله:(لانكسار ما قبلها) ، وإذا راجعنا الصوتينِ اللذينِ وقعت بينهما المماثلة؛وجدناهما الكسرة (الحركة القصيرة)، و(الواو اللينة)، وهي من الصوامت وليست من الحركات)، لكن الكسرة القصيرة حوّلتها إلى حركة طويلة (الياء) وكما ذكرنا في الأنموذج السابق من أنه لا فرق بين الصائت القصير والطويل إلا من حيث زمن النطق بهما؛ فإنه على ذلك تكون تلك المماثلة من نوع المماثلة الكلية، وعدم وجود فاصل صوتي بين الصوتين يجعلها مماثلة متصلة أيضاً، فما وقع في اللفظة هو مماثلة كلية مقبلة متصلة.

ب- مماثلة كلية مقبلة منفصلة:

ومما يمكن أن يعدّ من قبيل المماثلة الكلية المقبلة المنفصلة، ما ذكره الأزهري في لفظة (ويلتى)،إذ قال:"**يَا وَيْلتا، مَعْنَاهُ:** يَا ويلتي، فقُلبت الْيَاء ألفا، وَكَذَلِكَ: يَا أَبتَا، مَعْنَاهُ: يَا أبتي"[٢].

والأزهري وإن كان لا يصرح هنا بوجود المماثلة؛ فإنه يُلمح في كلامه إليها، وبخاصة في قوله:(فقلبت الياء ألفا) ، فإنّ هذا القلب لم يكن ليحدث بدون عامل مؤثر فيه، ويمكننا أن نفسّره بقانون المماثلة الصوتية فنقول: أثرت الحركة القصيرة التي بعد صامت اللام (الفتحة) في الحركة الطويلة التي بعد التاء (الكسرة الطويلة = الياء) ، فحوّلتها إلى حركة طويلة من جنسها (فتحة طويلة = الألف) ، ومن ثمّ فهي مماثلة مقبلة كلية، ولمّا وقع صوت التاء بين الحركتين كانت مماثلة منفصلة، ومن ثم فهي مماثلة كلية مقبلة منفصلة.

ج- **مماثلة كلية مدبرة متصلة:** وكان من ذلك ما عرضه الأزهري في لفظة (تقي)، إذ ذكر أن أصلها كان (تقوي) بواو بدلاً الياء الأولى، فنجده يقول:"...أبدلوا من الْوَاو الثَّانِيَة يَاء، وأدغموها فِي الْيَاء الَّتِي بعْدهَا"[٣]، وقال عن اللفظة نفسها في موضع آخر:"وَالْوَاو الثَّانِيَة قُلبتْ يَاء للياء "[٤] ، وعلى هذا التفسير الصوتي للفظة يكون الأزهري قد أشار إلى أن فيها مماثلة صوتية، وهذه المماثلة كلية؛لأن الواو أصبحت ياء ،وهي عين الصوت المؤثر فيها، وهي مماثلة مدبرة ؛لأن اتجاه التأثير جاء من الخلف للأمام، وهي مماثلة متصلة أيضاً؛ لأنه لم

(١) لسان العرب (هـ و ت): ١٠٧/٢.
(٢) تهذيب اللغة (ب أ ب): ١٥/ ٤٣٠ .
(٣) تهذيب اللغة (وق ي): ٢٠٠/٩ .
(٤) المصدر نفسه: ٢٧٩/٩.

يفصل بين الصوتين فاصل ، وقد ذكر هذا الرأي – رأي أن مماثلة حدثت في اللفظة – من قبل الأزهري أبو بكر الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس ، إذ قال:"وَالْوَاو الثَّانِيَة قُلبتْ يَاء للياء"(١)، ونصّ الأزهري نقل لكلام الأنباري بتمامه.

د– مماثلة كلية مدبرة منفصلة: هذا النوع يحدث فيه تأثير كليّ أيضاً ولكنه يختلف في اتجاه هذا التأثير حيث إنه يأتي من بعد الصوت المتأثر وليس من قبله، ويكون بين الصوتين المؤثر والمتأثر فاصل فتكون منفصلة أيضاً، وقد أشار الأزهري إلى ذلك النوع من المماثلة في شرحه للفظة (أعتدتْ)، فيقول:"وَجَائِز أَن يكون الأَصْل أَعدَدْت ثمَّ قلبت إِحْدَى الدالين تَاء"(٢) ،فهو بذلك يحاول أن يفسر لفظة (أعتدت) بأنها نتاج حدوث المماثلة الصوتية،وعلى قوله يمكن أن تفهم المماثلة الحادثة في ذلك أنها بتأثير التاء الأخيرة في الفعل (تاء التأنيث) في إحدى الدالين المتقدمتين عليها، فحدث أن أبدلت أولاهما بذلك التأثير إلى تاء، وهو ما يعني أن المماثلة الواقعة مماثلة كلية مدبرة، ولمّا كان هناك فاصل صوتي بين الصوتين وهو الحركة القصيرة (الفتحة، والصامت (الدال) كانت المماثلة منفصلة، ومن ثَمَّ فإنَّ ما حدث في اللفظة هو مماثلة كلية مدبرة منفصلة، غير أن الأزهري يعود بعد ذلك ويذكر أن (عتد) بناء مستقل بذاته بمعنى أن التاء فيه ليست مبدلة نتيجة تأثيرات صوتية من صوت آخر، وإنما هي صوت أصلي في اللفظة، ويرجح ذلك على ما ذكره من احتمال وقوع المماثلة، فيقول:"وَجَائِز أَن يكون عتد بِنَاء على حِدةٍ، وعَدَّ بِنَاء مضاعفاً، وَهَذَا هُوَ الأصوب عِنْدِي"(٣) ،غير أن الجوهري يؤكد الرأي القائل بالمماثلة في اللفظة، ويستشف ذلك من قوله:"واعتدت وأعددت واحد"(٤) ، فقوله (واحد) يعني أن إحداهما صورة صوتية مختلفة للأخرى، وهو بالطبع أمر لا يفسر إلا بما قدمناه من وقوع مماثلة صوتية في اللفظة، وهو ما يؤكده ابن سيده أيضا بما نقله في محكمه من قوله:"وَحكى يَعْقُوب أَن تَاء أَعتْدَتُه بدل من دَال أَعْدَدْتُه"(٥)، ومن ثَمَّ يكون لفظة (أعتدت) صورة صوتية نتاج ما وقع في لفظة (أعددت) من مماثلة صوتية جاء تأثيرها من تاء التأنيث التي في نهاية الفعل على عين الفعل التي هي (الدال) فحوّلتها إلى تاء مثلها، ومن ثَمَّ فهي مماثلة كلية مدبرة منفصلة، وقد يعني قوله (واحد) أي في المعنى وليس في اللفظ ، ويمكن أن يكون ما حصل من تغيير الدال الى التاء هو من قبيل المخالفة وليس المماثلة ؛ لأنه عندنا دالان متتابعان، فقلب أحدهما تاءً؛ لتخفيف النطق .

---

(١) الزاهر: ١٢٣/١.

(٢) تهذيب اللغة (ع د ت): ١١٥/٢.

(٣) المصدر السابق : ١١٥/٢.

(٤) الصحاح (ع ت د): ١٢٢٣/٤

(٥) المحكم (ع ت د): ٣/٢.

المبحث الثاني
المماثلة الجزئية

عرضنا في المبحث السابق لما كان تأثيره كليا للمماثلة، وفي هذا المبحث نعرض للتأثيرات الجزئية فيها، بحيث يتأثر الصوت بصوت قبله أو بعده تأثيرا جزئيا فتتغير صفة من صفاته، غير أنه لا يتحول كليا إلى صورة الصوت المؤثر فيه، وقد أشار الأزهري في تهذيبه إلى ذلك النوع من المماثلة وتناوله بالتلميح أو التصريح في عدد من المواضع ، ونعرض هنا نماذج منه:

أ- المماثلة الجزئية المقبلة المتصلة:

- **إبدال التاء دالا في لفظة (ازدمل):**

وجاء ذلك النوع من المماثلة فيما عرضه الأزهري في لفظة (ازدمل) ، إذ أورد أنّ الدال فيها إنما هي منقلبة عن تاء الافتعال،وردّ ذلك صراحة إلى فعل المماثلة الصوتية، فيقول:"ازْدَمل فلَان الحمل إِذا حمله، والزّمل عِنْد الْعَرَب:الحِمْل، وازدمل افتعل مِنْهُ، أَصله ازتمله، فَلَمَّا جَاءَت التَّاء بعد الزَّاي قلبت دَالا"(١).

فعبارته (فَلَمَّا جَاءَت التَّاء بعد الزَّاي قلبت دَالا) عبارة مصرحة بفعل قانون المماثلة في أصوات اللفظة، ويمكن تفسير ما حدث بأن الزاي صوت مجهور، والتاء صوت مهموس، فأثرت الزاي في التاء المهموسة، وحوّلتها إلى نظيرها المجهور لتكون مثل الزاي في تلك الصفة (الجهر)، فأصبحت التاء دالا، وعُدّت بذلك مماثلة جزئية؛لأنها لم تتحول إلى زاي مثلها وإنما إلى صوت يحمل صفة من صفات الزاي، ولمّا كان اتجاه التأثير من الأمام للخلف عُدّت مماثلة مقبلة، ولمّا كان التاء متصلة بالزاي مباشرة من غير فاصل صوتي يفصل بينهما، عُدّت مماثلة متصلة، ومن ثمّ فالمماثلة التي حدثت في أصوات اللفظة هي مماثلة جزئية مقبلة متصلة.

وهذا الذي ذكره الأزهري لم يكن خالصاً له، وإنما هو رأي أبي بكر الأنباري سبقه به في الزاهر(٢)، ونقله الأزهري عنه ووافقه فيه.

ب- المماثلة الجزئية المقبلة المنفصلة:

- **إبدال الحاء هاء في لفظة (ردهت):**

ومن ذلك ما أورده الأزهري في لفظة (رَدَهَتْ)، إذ نصّ على أن أصلها بالحاء ردحت لكن أبدلت الحاء هاء، فقال:"رَدَهَتْ: قلتُ: كَانَ الأَصْل فِيهِ رَدَحَتْ بِالْحَاء، فأُبدِلت هَاء"(٣)

---

(١) تهذيب اللغة (ز م ل): ١٥٢/١٣.

(٢) ينظر:الزاهر: ٤٤/٢.

(٣) تهذيب اللغة (ر د هـ): ٢٩٧/٢ .

وبالبحث عن العلة الصوتية وراء ذلك الإبدال نجده إبدالاً حدث بفعل قانون المماثلة الصوتية، إذ أثّرت الدال وهي صوت مجهور في الحاء وهي صوت مهموس، فحوّلته إلى صوت مهموس قريب منه وهو الهاء، فأصبحت اللفظة ردهت بدلا من ردحت، وهو ما ذكره الأزهري في عبارته، وتأتي هذه المماثلة جزئية؛ لما ذكرنا أنه لا تماثل تام فيها بين الصوتين المؤثر والمتأثر، وهي مقبلة أيضاً؛ لأن اتجاه التأثير من الأمام إلى الخلف، وهي منفصلة؛ لوقوع فاصل صوتي بين الصوت المؤثر (الدال) والمتأثر (الحاء)، ذلك الفاصل هو الصائت القصير حركة الدال (الفتحة)، ومن ثمّ فالمماثلة الواقعة هنا مماثلة جزئية مقبلة منفصلة، وخصّ صاحب اللسان الأزهري بهذا الرأي في اللفظة وأصواتها فلم ينسبه لغيره(١)، ولم نجد أحداً من علماء اللغة من ينسب هذا الرأي لغير الأزهري، ومن ثمّ يمكننا القول بأنّه تفرّد به.

- **إبدال الزاي سينا في لفظة (القسي):**

ومما يدخل تحت نماذج المماثلة الجزئية المقبلة المنفصلة أيضا؛ ما أورده الأزهري في شرحه للفظة (القسي)؛ إذ جاء فيه:"القَسِّيُّ: القَزِّيُّ أبدلت الزَّايُ سينًا"(٢).

ويمكن أن يفسّر هذا الإبدال الذي أشار إليه الأزهري على ضوء قانون المماثلة، إذ أثر صوت القاف المهموس في الزاي المجهورة بعده ، فحولّها إلى نظيرها المهموس (السين)، وكان اتجاه التأثير أمامياً فكانت مماثلة مقبلة ، وكان بينهما فاصل صوتي وهو حركة القاف ، فكانت مماثلة منفصلة.

وقد ذكر قسم من العلماء ذلك الإبدال الدال على فعل قانون المماثلة في اللفظة، ومنهم الهروي في الغريبين (٣)، والزمخشري في كتابه (أساس البلاغة)(٤) ، وذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر أيضاً(٥).

ج- المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة:

- **إبدال العين حاء في لفظة (المحس):**

ومن ذلك ما ذكره الأزهري في قوله:"قلت: المَحْسُ والمَعْسُ: دَلْكُ الجِلْدِ ودِبَاغُه، أبدلت الْعين حاء"(٦) ، فقد صرح الأزهري بأنّ الحاء في لفظة (المحس) منقلبة عن عين، وما ذلك

---

(١) ينظر: لسان العرب (ر د ه): ٤٩٢/١٣.

(٢) تهذيب اللغة (ق س ي): ١٨٧/٣.

(٣) ينظر: الغريبين: ١٥٣٩/٥.

(٤) ينظر: أساس البلاغة: جار الله الزمخشري،ط١، دار صادر،بيروت،١٩٧٩م : ٧٦/٢.

(٥) ينظر:النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د.ت) : ٦٠/٤.

(٦) تهذيب اللغة (م ح س): ٢٠٧/٤.

إلا بفعل قانون المماثلة الصوتية ، فقد أثرت السين الموجودة في آخر اللفظة في صوت العين، فحوّلته إلى نظيره المهموس فصارت العين حاء ،ولمّا كان اتجاه التأثير من الخلف كانت مماثلة مدبرة ، ولم يكن بين الصوتين فاصل صوتي فكانت المماثلة متصلة، فنتجت لفظة (المحس) بفعل المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة"، وقد نقل صاحب اللسان ما ذكره الأزهري منسوبا إليه[١] مما يؤكد أن ذلك الرأي كان رأي الأزهري ابتداء وليس مأخوذاً عن أحد قبله.

د- المماثلة الجزئية المدبرة المنفصلة:

- **إبدال الواو تاء في لفظة (تشحة)**

كان ذلك في تحليل الأزهري للفظة (تشحة) حيث يرى أن التاء في أول اللفظة إنما أصلها همزة ثم قلبت واواً، ثم قلبت بفعل المماثلة الصوتية إلى التاء، فيقول:"أَظن التشحة فِي الأَصْل أُشْحة فقُلِبت الهمزَةُ واوا"، ثمَّ قلبت تَاء كَمَا قَالُوا: تُراث وتَقوى"[٢].

فعلى رأي الأزهري: تكون الواو قد تأثرت بالحاء بعدها، وتحوّلت من صوت مجهور إلى صوت مهموس، وهو التاء، حيث إنّ التاء تشترك في الهمس مع الحاء، ومن ثمّ يكون التأثير الحادث من الحاء في الواو تأثيراً جزئياً، وليس كلياً، واتجاه التأثير من الخلف فهي مماثلة مدبرة، وبين الحاء والواو فاصل صوتي هو حركة الواو والشين، فتكون مماثلة منفصلة.

وهذا التوجيه لأصوات اللفظة بالمماثلة واضح من عبارة الأزهري: (وأنأ أظن ....) أنه غير مسبوق فيه، وهو ما يؤكده أنني لم أره عند غيره من سابقيه من اللغويين، ويؤكده نقل التابعين له منسوباً إلى الأزهري أيضاً وليس إلى سواه[٣].

- **إبدال الواو تاء في لفظة (تقي):**

من النماذج التي أشار فيها الأزهري إلى المماثلة الجزئية المدبرة المنفصلة أيضاً لفظة (تقي) إذ ذكر أن التاء فيها أصلها واو، لكنها أبدلت تاء ، فنراه يقول:"قَالَ النحويُّون:الأَصْل فِيهِ وَقُويٌ، فأَبدلوا من الْوَاو الأولى تَاء"[٤].

فقول الأزهري (فأبدلوا من الواو تاء) يفهم منه أن مماثلة وقعت في اللفظة وتفسّر تلك المماثلة بأن القاف صوت مهموس فأثرت في الواو المجهورة، فقلبتها إلى تاء مهموسة مثلها،

(١) ينظر: لسان العرب (م ح س): ٢١٥/٦.
(٢) تهذيب اللغة (ت ش ح): ١٠٥/٤.
(٣) ينظر مثلا :لسان العرب (ت ش ح): ٤١٧/٢،وتاج العروس (ت ش ح): ٣٢٧/٦.
(٤) تهذيب اللغة (و ق ي): ٢٠٠/٩.

وكان التأثير من الخلف فكانت مماثلة مدبرة، وكان بين القاف والواو فاصل صوتي هو حركة الواو، فكانت منفصلة، ومن ثمّ كانت تلك المماثلة مماثلة جزئية مدبرة منفصلة.

وقد أشار إلى ذلك الإبدال عالم آخر غير الأزهري وهو صاحب العين، إذ قال:"والتّقْوَى في الأصل: وَقْوَى، فَعْلى، من:وَقَيْتُ، فلمّا فتحت أبدلت تاء فتركت في تصريف الفعل، في النُّقَى والتَّقْوَى، والتُّقاة والتَّقيّة، وإنما التُّقاة على فُعْلة، مثل تهمة وتكأة"(١)، وذكر مثل هذا القول أبو بكر الأنباري في الزاهر ،فقال:"قال النحويون: الأصل فيه: وقُويٌ، فأبدلوا من الواو الأولى تاء، لقرب مخرجها منها"(٢)، وذكر أبو علي القالي مثل هذا الإبدال فقال:"والتقوى كان في الأصل وَقْوَى على فَعْلى من وقيت"(٣).

والملاحظ في أقوال هؤلاء العلماء أنهم أشاروا إلى الإبدال بين الواو والتاء فقط، وردّوا إلى ذلك إلى قرب المخرج بينهما، وهو ما فعله الأزهري أيضا، والذي نراه أن ذلك مردّه إلى قانون المماثلة كما بيّنا، وبسبب من تأثير القاف في الواو ، والله أعلم.

(١) العين: ٢٣٩/٥.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٢٢/١.

(٣) البارع في اللغة: أبو علي القالي، تحقيق هاشم الطعان، ط١ ، دار الحضارة العربية، بيروت،١٩٧٥م : ٥٢٢.

الخاتمـــة

في ختام هذه الدراسة يمكن إجمال أهم ما توصلت إليه من نتائج فيما يأتي:

١- قانون المماثلة الصوتية أحد القوانين الصوتية الهامة التي لها أثرها القوي والبارز في علاقة الأصوات بعضها ببعض في اللغات الإنسانية بعامة ، واللغة العربية بخاصة.

٢- عرف علماء العربية القدماء - ومن ضمنهم الأزهري- أثر قانون المماثلة الصوتية وفعله في الأصوات العربية حال تجاورها بعضها مع بعض وتأثير بعضها في بعض، وإنهم وإن لم يستعملوا مصطلح المماثلة الصوتية المعاصر فإن أثر هذا القانون كان واضحا وجليا في تحليلاتهم للأصوات العربية المختلفة.

٣- احتوى معجم تهذيب اللغة للأزهري على نماذج كثيرة للمماثلة الصوتية وفعلها وأثرها في الأصوات العربية، وتجلى ذلك تصريحا في قسم من تلك النماذج أو تلميحا في قسم آخر.

٤- غطّت نماذج المماثلة الصوتية التي احتواها تهذيب اللغة أنواع المماثلة المختلفة، فظهرت نماذج للمماثلة الكلية المقبلة المتصلة، ونماذج للمماثلة الكلية المقبلة المنفصلة، ونماذج أخرى للمماثلة الكلية المدبرة المتصلة والمماثلة الكلية المدبرة المنفصلة، وكانت هناك نماذج أخرى ذكرها الأزهري للمماثلة الجزئية بأنواعها المختلفة المقبلة والمدبرة المتصلة منها والمنفصلة.

٥- كان الأزهري في كثير مما عرضه من نماذج وتحليلات وإشارات للمماثلة الصوتية في تهذيبه متفردا في آرائه غير مسبوق فيها ، فلم يتوصل الى هذه الآراء أحد من علماء اللغة العربية من قبله، لكن ذلك لم يمنعه من تأثره في قسم من آرائه بعلماء اللغة الذين سبقوه.

كانت هذه أهمّ النتائج التي توصلنا إليها ، وتوصي الدراسة هذه بمواصلة البحث في القوانين الصوتية المختلفة الأخرى غير المماثلة في تهذيب اللغة ، حيث إنه يمثل موسوعة لغوية فريدة في بابها.

ثبت المصادر

- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة:فوزي الشايب، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- أساس البلاغة :جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م.
- الأصوات اللغوية: د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، القاهرة ، ١٩٧٥م.
- أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: كريم زكي حسام الدين، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ٢٠٠٢م.
- البارع في اللغة: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت٣٥٦هـ)، تحقيق هاشم الطعّان ، ط١ ، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥م .
- تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، سلسلة التراث العربي ، وزارة الإعلام بالكويت، ٢٠٠١م .
- التطور اللغوي "مظاهره وعلله وقوانينه":د.رمضان عبد التواب، ط٢ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- التطور النحوي للغة العربية:"محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ المستشرق الألماني برجشتراسر: د.رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- تهذيب اللغة :أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ،١٩٦٤م .
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمّد علي النجار، ط١ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- دراسة الصوت اللغوي: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ) ، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- الزاهر في معاني كلمات الناس:أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق:د.حاتم صالح الضامن ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
- شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، تحقيق: محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٤ ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- علم الأصوات اللغوية "الفونيتيكا": عصام نور الدين ، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ، ١٩٩٢م .
- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د.إبراهيم السامرائي ، و د.مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، (د.ت) .
- الغريبين في القرآن والحديث: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١ ، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية،١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- في اللهجات العربية: د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨٧١هـ)، تحقيق: مكتب التراث، ط٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- الكتاب:أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمّد هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .
- لسان العرب : جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة :علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
- معاني القرآن في التراث العربي الدراسة الصوتية: منير جمعة أحمد، ط١ ، دار بلنسية للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٨م.
- مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمّد بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق:طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت، (د.ت).